

التقعيد للأمانة العلمية في قول الأوائل: (من بركة العلم أن يضاف الشيء إلى قائله)

للطالب: إبراهيم يوبي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر
Brahimyoubi796@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020 / 07 / 01 تاريخ القبول: 2022 / 06 / 10

Expedition to the Scientific honesty in the first words of the blessing of science to add the thing to the saying

Research summary :

Our very first scientists were concerned by the subject of scientific integrity in their books and their works and they gave the finest examples and perhaps this is the secret to the survival of what they wrote till now, sincerity and honesty, and consoled the advantages and moved to their owners and not to jump on the efforts of others all contributed to commemorate what they produced till our time. And in light of the strong interest in our current topic especially in the midst of scientific research development and academic study, we tried to highlight the brighter side in the lives of our ancestors before building universities and giving certificates and how to keep it on their books and their authors are following the lead of their words and Their approaches in months written explanation and biography and Fiqh etc. The reader will show great astonishment when he learns that they possessed many prized things which adhere to the scientific

method and objectivity and customs of writing and research in modern times.

Key words : Attribution ; Blessing ;Scientific integrity ;Thepraticalside ;ibn abd al barr

الملخص :

اهتم علماؤنا الأوائل كثيرا بموضوع الأمانة العلمية في كتبهم وتأليفاتهم وضربوا في ذلك أروع الأمثلة ولعل هذا هو سر بقاء ما كتبوا إلى وقتنا الحالي، فالإخلاص والصدق وعزو الفوائد والنقول إلى أصحابها وعدم القفز على جهود الغير كلها عوامل ساهمت في تخليد ما أنتجوا، وفي ظل الاهتمام الشديد في عصرنا الحالي بهذا الموضوع خاصة في خضم تطور العملية البحثية والدراسة الأكاديمية حاولنا أن نسلط الأضواء على هذا الجانب المشرق من حياة أسلافنا قبل أن تبنى الجامعات وتعطى الشهادات وكيف التزموا بهذا الأمر في كتبهم ومؤلفاتهم متبعين أقوالهم ومناهجهم في أشهر كتب التفسير والسيرة النبوية والفقه وغيرها ... مما سيجعل القارئ يبدي استغرابا كبيرا عندما يعلم بأنهم حازوا قصب السبق في كثير من الأشياء التي تلزم بها الطريقة العلمية والموضوعية وأعراف الكتابة والبحث في عصرنا الحاضر الكلمات المفتاحية: العزو، البركة، الأمانة العلمية، الجانب التطبيقي، ابن عبد البر

□ المقدمة :

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده و يدفع نقمه، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فإن للكتابة والتأليف مقاصد وغايات عند العقلاء من بني البشر، ولها أعراف وأداب وقواعد ينبغي أن يتقيد بها الخاضعون لهذا المضمار، ولعل موضوع الأمانة العلمية ومدى احترامه والعمل بمقتضاه قد أسال في الأيام الأخيرة الكثير من الخبر بعد الدواهي التي صارت تحدث في مؤسساتنا ومعاهدنا العلمية من انتحال وتلبس واستيلاء على الجهود الفكرية للآخرين، وأدعائها من قبل بعض النفوس المريضة التي أعمتها الرتب الدنيوية والدرجات العلمية الزائفة عن رسالة العلم وأمانته وأخلاقياته السامية، لذلك كان لزاما علينا أن نذكر أنفسنا وإخواننا الباحثين بضرورة احترام الحقوق الفكرية لأصحابها باعتباره مطلباً شرعياً سماوياً قبل أن يكون حقاً مكفولاً بقوة القانون، وإن كان أهل العلم والفضل منذ القديم يستفيد بعضهم من بعض، ويبنى بعضهم على بناء بعض، ويكمل بعضهم جهود بعض، لكن هذا لا يعني القفز على عقود طويلة من البحث والتنقيب بمكر خبيث وضمير ميت ونسبة ذلك كله إلى النفس، فالاقْتباس من الآخرين أو الاستفادة منهم كل ذلك مشروع إذا كان بقواعده وأسسهِ المتعارف عليها، وإن كان هذا الكلام الذي قيل ينسحب على كل مجال من مجالات العلم والمعرفة فهو يتأكد

في حقل الدراسات الشرعية إذ أبسط طالب فيها يعلم أن من مقاصد الشريعة إشاعة الصدق وتحريم الكذب والتزوير والتدليس، ولذلك تكلم علماؤنا رحمهم الله تعالى منذ القديم عن المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وترك ما سواها كما فعل عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة في الفصل الخامس والثلاثون-على الحكاية- من كتابه (المقدمة) لكنهم لم يختلفوا تماما في ضرورة احترام جهود الآخرين والتحذير من التعدي عليها، حيث كانوا يتعوذون من ذلك وفي بعض المرات يدعون على من فعل ذلك، وإذا كانت سرقة أموال الناس رتب الشارع الحكيم عليها قطع اليد فإن سرقة أفكار الناس وأعمالهم لا تقل جرما عن ذلك، ومن أنفس ما قاله الأكابر من هذه الأمة: (من بركة العلم أن يضاف الشيء إلى قائله) لذلك يعتبر موضوع الأمانة العلمية في غاية الأهمية كونه يعكس نزاهة الباحث وقوة شخصيته العلمية ومدى دقته في توثيق وتحقيق المادة العلمية التي جمعها والبعد عن كل أشكال التملّيس والتدليس، وفي ظل عصر الشهادات التي صارت تطلب لذاتها بعيدا عن كثير من الأخلاقيات الضرورية التي ينبغي أن يتخلق بها الباحث وشيوخ الكثير من التصرفات التي تتنافى مع العملية البحثية الموضوعية حاولنا عرض نماذج مشرقة لأسلافنا ومدى احترامهم لهذا المبدأ العظيم في كل صغيرة وكبيرة ولعل هذا هو السر في بقاء ما دونوه وألفوه إلى وقتنا الحاضر ويهدف هذا البحث إلى الإجابة عن تساؤلات كثيرة منها :

هل تكلم علماؤنا الأوائل عن الأمانة العلمية وقعدوا لها في مؤلفاتهم وكتاباتهم؟ وإلى أي مدى التزموا بذلك في بحوثهم ودواوينهم؟ وكيف استفادوا ممن سبقهم من غير أن يتعدوا على جهود الآخرين أو يصادموا أخلاقيات العلم وأمانته؟ ويهدف كذلك إلى:

توثيق مقولة (من بركة العلم أن يضاف الشيء إلى قائله) وفي أي بيئة شاع هذا القول؟ وهل صيغ بصيغ أخرى؟

عرض الجانب التطبيقي لهذه القاعدة في مختلف كتب علماء الإسلام ليتجلى للباحث هذا الأمر

واعتمدنا في هذه الدراسة عموماً على المنهج الوصفي في نقل المادة العلمية، كما تخللها المنهج التحليلي في الوصول إلى كثير من الآراء والاستنتاجات

وقد أتى هذا البحث على الشكل التالي :

أولاً: توثيق هذا القول ومعرفة أول من تكلم به اختراعاً أو اشتهاً سواء كان ذلك بحروفه أو بمعانيه، والنتيجة الأولية تظهر أنّ الإمام ابن عبد البر القرطبي رحمه الله تعالى هو أول من ذكره في كتابه ﴿جامع بيان العلم وفضله﴾ وأورده بصيغة التمرّض .

ثانياً: شرح وتحليل مباني هذا القول من خلال بعض كتب اللغة مركزين على بعض المعاني:

كمعنى البركة، والعزو الذي هو إسناد ونسبة القول إلى قائله أو الشيء إلى صاحبه، وأن كل قول لا يسند إلى صاحبه فهو لقيط لا يحصل به

النسب، ومدى ارتباط هذا القول بأصول الشريعة كالتحذير من الغش والتدليس كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور) -متفق عليه-، والمتحل المدلس ينسحب عليه هذا الأمر، لذلك نقلت كلام شراح هذا الحديث وخوفاً من الإطالة اقتصرنا على كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في (فتح الباري)

ثالثاً: العناية بالجانب التطبيقي لهذه القاعدة فحاولت فيه أن أجمع بعض كلام أهل العلم في حرصهم الكبير على إضافة الأقوال إلى قائلها من خلال مقدمات كتبهم، من خلال نماذج من كتب التفسير والسيرة والفقه والأصول وغيرها.

أولاً: توثيق قول الأوائل: (من بركة العلم أن يضاف الشيء إلى قائله) كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المقدمة حاولنا في هذا المطلب معرفة أول من أنشأ هذا القول فعلاً أو نقلاً عن غيره، فوجدنا الإمام ابن عبد البر القرطبي رحمه الله تعالى يصرح بذلك في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) في الباب الخامس والخمسين الذي عنوان له: (ذكر الدليل من أقاويل السلف على أن الاختلاف خطأ وصواب ويلزم طالب الحجة عنده، وذكر بعض ما خطأ فيه بعضهم بعضاً وأنكره بعضهم على بعض عند اختلافهم)، فقال رحمه الله تعالى:

(... قال أبو عمر: ما ألزمه المزني عندي لازم فلذلك ذكرته وأضعفته إلى قائله، لأنه يقال: من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله) (ابن عبد البر، ص 358)

وهنا نثير عدة تساؤلات تحتاج إلى إجابة منها : لماذا أورد ابن عبد البر هذا القول بصيغة التمريض؟ ولم يذكر صاحب القول؟، وهنا تراودنا عدة شكوك منها: هل سبب ذلك عدم معرفته لقائله مثلاً؟، أو أنه كان قولاً شائعاً في عصره خصوصاً في البلاد الأندلسية يتناقله الناس عن بعضهم البعض وإن لم يعرف قائله، وهذا احتمال وجيه لأن بعض الأكابر نقله كنقل الإمام ابن عبد البر، وهذا ما فعله الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه (الجامع لأحكام القرآن) لما بدأ يذكر الشروط التي اشترطها على نفسه أو المنهج العام الذي سيسير عليه في كتابه حينما قال :

(.. وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله) (القرطبي م، 1427هـ، ج 1، ص 8)

وهذا يرجح ما قلناه آنفاً، ومهما كان الجواب فإن نقل العلماء الأكابر لهذا القول يعطيه قوة ومزية وإن لم يعرف قائله أصلاً، خاصة إذا كان الناقل له أشهر وأذكر من القائل، ولذلك لو سألنا أحد عن قائل هذا القول ومصدره لأحلناه مباشرة على كتب البيئته التي اشتهر فيها ونقصد بذلك (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر أولاً ومقدمة تفسير القرطبي ثانياً مراعاة للترتيب الزمني، ولأن المنطق العقلي يقتضي أن

المتأخر هو الذي ينقل عن المتقدم فبذلك يحوز ابن عبد البر قصب السبق في نقل هذا القول .

والملاحظ كذلك في هذا الكلام الذي سقناه من مقدمة تفسير القرطبي رحمه الله تعالى أنهم لم يكونوا يفرقون بين الأحاديث النبوية وأقوال العلماء في ضرورة توثيقها وعزوها إلى مظانها لخطورة مآلات ذلك، أما الأحاديث فلاشتغالها على الضعيف والموضوع، وقد أجمع علماء الإسلام المعتبرين على تحريم رواية الموضوع إلا لبيان، قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: (واتفقوا على تحريم رواية الموضوع إلا مقرونا ببيانه، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) أخرجه مسلم) (العسقلاني، 1423هـ، ص 35)

وأما الأقوال فلأن بعضها تعتبر فتاوى وأحكاما شرعية، والأقوال الغريبة التي لا يعرف قائلها ولا حاله لا تصح كفتوى، بل إن النقل عن الكتب غير المشهورة أباه فطاحل من العلماء خشية التحريف والتزوير، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك لما حرموا النظر في المصنفات الحديثة إذا لم يشتهر أصحابها بعزو ما فيها إلى الكتب المشهورة كالقرافي الذي جزم بذلك مرفقا بتعليلاته (القرافي، 1387هـ، ص 224، 225)

ولذلك كان الأوائل يصرحون بأسمائهم عند كل نظم أو شرح علمي لأجل هذه العلة كما فعل ابن عاشر رحمه الله تعالى في افتتاح نظمه لما قال: يقول عبد الواحد بن عاشر /// مبتدئا باسم الإله القادر (ابن عاشر، ص 5)

قال الشارح: (بدأ رحمه الله تعالى بتسمية نفسه، لأنه في هذا المقام من أعظم المهمات، لما علم أن العمل أو الفتوى من الكتب التي جهل مؤلفوها ولم يعلم صحة ما فيها لا يجوز) (ميارة، 1373هـ، ج1، ص4)

ولولا التقدم الزمني لابن عبد البر والقرطبي المفسر رحمهما الله تعالى ونقلهما لتلك العبارة لكنا نجزم أن هذا القول من نسيج الإمام النووي رحمه الله تعالى الذي أبدع و أمتع في نفس السبيل مؤكدا على ضرورة إضافة الأقوال والفوائد إلى أصحابها لما قال :

(... ومن النصيحة: أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أنف ذلك، وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جدير ألا يتنفع بعلمه، ولا يبارك له في حاله، ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها) (النووي، 1434هـ، ص74)

فالنووي رحمه الله تعالى يقول هذا الكلام وعلامات الإنشاء بادية فيه بحيث لم ينسبه إلى غيره ولا أورده بصيغة التمريض ، لكنه ألح إلى شيء دقيق قد يغفل عنه الكثير وهو تقييد الإضافات بالفوائد المستغربة التي لم يسبق إليها صاحبها، أما ما كان معلوما للجميع ولا يدعي صاحبه أنه أول من حصله فلا يشترط فيه ذلك وربما هذا الذي نفسر به ذلك التشابه الكبير في الأقوال والآراء في كتب التفسير والفقه، إضافة إلى اعتمادهم على حفظ المصنفات والدواوين

هذا وإن لم نكن قد توصلنا إلى رأي قاطع في هذه المسألة فإننا نكون قد أثرنا قضايا وتساؤلات مهمة تساهم في بناء صرح متكامل إن شاء الله تعالى حول هذه المسألة، وتمحيص الروايات في سبيل نسبة الأقوال إلى أصحابها أو بعض الأبيات الشعرية التي تنسب إلى بعض الأعلام المشاهير هي من الصعوبة بمكان، خاصة إذا كانت تتعارض مع ما اشتهروا به من صلاح وإخلاص لله تعالى وحرص على إخفاء أعمالهم الصالحة كما يخفي الواحد منا ذنوبه وعيوبه أو أشد فينبغي التورع عن رواية ذلك، كما فعل الشيخ البوطي رحمه الله تعالى في إبطال أبيات سمعناها منذ الصغر تنسب إلى عبد الله بن المبارك أرسلها إلى الفضيل بن عياض رحمهما الله تعالى قائلا :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا /// لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه /// فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل /// فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم و نحن عبرنا /// رهج السنايك والعبار الأطيب
و أنكرها بتاتا مستدلا على ذلك بتسعة أدلة، مستفهما عن سبب شيوعها قائلا :

فما هو الوجه الذي على أساسه تعد رواية هذه الأبيات عن ابن المبارك صحيحة بعد هذا الانقطاع الممتد في سنده؟ ولماذا نفترض الكذب على رسول الله في مثل هذه الحال، ولا نقطع بالكذب على ابن المبارك عند الحال ذاتها؟ (البوطي، 1430هـ، ص68)، وهذه ملاحظة دقيقة تقتضي

مراعاة الدقة العلمية في نسبة الأقوال إلى أصحابها وعدم التسرع في ذلك خاصة إذا كانت تتنافى مع سيرة أصحابها ومناهجهم الفكرية والسلوكية ولاشك أن مثل هذه العبارات التي تلزم بمراعاة الأمانة العلمية تبرز جهود العلماء المتقدمين لحماية العملية البحثية من خوض المتطفلين وغير المؤهلين، كما تُثَمُّ عن انحرافات بحثية ضاربة في القدم حاربها أهل العلم والفضل وحذروا منها

ثانيا: شرح وتحليل هذا القول ومدى ارتباطه بأصول الشريعة: وحرصا على الاختصار سأقف على معنيين من المعاني التي وردت في هذا القول وهما: البركة وكذلك إضافة القول إلى قائله وفضلت أن آتي بما ينوب عنها في اللغة وهو العزو لأن هذا القول في بعض المرات يرد به فترى بعضهم يقول: ﴿من بركة العلم عزو القول إلى قائله﴾، وأوردت في هذا المقام حديثا عظيما من جوامع كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع لنا كل ما يمكن أن يقال في التحذير من الغش والتدليس وهو حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أن امرأة قالت: ﴿يا رسول الله، إن لي ضرة، فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿التشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور﴾ (البخاري، 1422هـ، ج7، ص35)، ناقلا من شرح ابن حجر رحمه الله تعالى بعض الذي قاله شراح الحديث، فالبركة لها معان في اللغة سأذكر أهمها وهي: النماء والزيادة، والتبريك الدعاء للإنسان (ابن منظور، ج3، ص265)، وقال الفراء في قوله تعالى: (رحمت

الله وبركاته عليكم أهل البيت(سورة هود، الآية 73)قال: البركات السعادة.وقال أبو منصور:وكذلك قوله في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي صلى الله عليه وسلم فقد نال السعادة المباركة الدائمة... (ابن منظور، ج3، ص265)

وفي حديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:وبارك على محمد و على آل محمد أي أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة،وهو من برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه (ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص265)...

وروى ابن عباس رضي الله عنهما:ومعنى البركة الكثرة في كل خير(ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص266)

وما من معنى من المعاني التي ذكرت إلا و المشتغل بالعلم والتأليف يهفو إليها قلبه فهو يأمل من الله الزيادة والنماء في علمه وعمله،وأما السعادة فلكونها غالية وعظيمة لم تذكر في القرآن الكريم إلا في موضع واحد ، فكيف إذا كانت لازمة ودائمة ؟

وأما معنى العزو فله ارتباط كبير بمعنى النسب،وكما أن النسب في الشريعة له أسبابه التي لا يحصل إلا بها فكذلك الأمر نفسه بالنسبة للأقوال والاعتباسات،وفرق كبير بين التبني الذي حرّمته الشريعة الإسلامية بعدا عن الكذب والتدليس والتزوير،وبين الكفالة التي تعتبر أمرا مستحبا في الشريعة وصاحبها مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

في الجنة، فكذلك بنات الأفكار ينبغي أن تعامل وفق هذا المثال الذي ضربناه ومعنى عزا في اللغة هو النسب والانتساب حقيقة أو كذبا. وعزا الرجل إلى أبيه عزوا نسبه، وإنه لحسن العزوة (منظور، لسان العرب، ج33، ص2934) - بكسر العين -

ففي قواميس اللغة يعرف النسب بالعزو والانتماء والالتحاق ويعرف العزو بالنسب فالعلاقة وثيقة للغاية بينهما، إذن فلا يجوز لأحد أن يفرق بينهما، وإلا جاز لنا أن نصف كل قول حاد عن هذا المسلك بأنه لقيط لا يلتفت إليه .

وأما الحديث الذي سبقت الإشارة إليه فإنه أصل عظيم في تحريم كل تزييف وخب وخداع، لذلك يمكننا الاستشهاد به عند كل موقف نشم منه رائحة الغش والتدليس وإن تطورت صوره وأشكاله، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) (أحرجه البخاري ومسلم)، فالمتشيع هو المتزين بما ليس عنده، يتكثر بذلك ويتزين بالباطل (العسقلاني، 1420هـ، ج9، ص394)، والذي يستولي على جهود غيره ويدعيها لنفسها ويتبناها له نفس الحكم، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (كلابس ثوبي زور) قال الخطابي رحمه الله تعالى: (الثوب مثل، ومعناه أنه صاحب زور وكذب، كما يقال لمن وصف بالبراءة من الأدناس طاهر الثوب والمراد به نفس الرجل) (العسقلاني، ج3، ص394)

وأما حكم الشنية في قوله: (ثوبي زور) فللاشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى، لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره بما لم يعط، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه والمشهود عليه) (العسقلاني، ج3، ص394) والغرض من هذا الحديث هو الزجر والتنفير من كل عمل يؤدي إلى التزوير والتدليس ويخالف الحقيقة والواقع لأن من مقاصد الإسلام إشاعة الحق والصدق الذي هو استواء الظاهر والباطن وواد الكذب والادعاء الباطل.

ولأن التأليف من أجل الأعمال التي يتقرب بها المؤمن إلى ربه ويتركها صدقة جارية بعده و جدنا أكابر الإسلام يؤصلون للمقاصد والغايات التي تدفع الكاتب للكتابة والمؤلف للتأليف، أما إذا كان الباعث مجرد هواية أو سطو على أفكار الغير فكانوا يتعوذون من ذلك ويسألون الله السلامة والعافية كما فعل عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى في الفصل الخامس و الثلاثون - على الحكاية - الذي عنون له بهذا العنوان: في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها (ابن خلدون، 1421هـ، ج1، ص729) وبعد ذكرها قال كلاما نفيسا ينبغي أن يسمعه كل مشغل بالتأليف، قال رحمه الله تعالى: ﴿فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها، وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره من التأليف أن ينسبه لنفسه ببعض تلبيس، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه...﴾ (ابن خلدون، 1421هـ، ج1، ص732، 733)

و لم نذكر المقاصد التي ذكرها ابن خلدون رحمه الله لأن وجدنا من نظمها قبله في أبيات قصيرة فقال :

ألا فاعلمن أن التأليف سبعة /// لكل ليب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ /// وإبداع خبر مقدم غير ناكص
وترتيب مشور وجمع مفرق /// وتقصير تطويل وتتميم ناقص
(المقري، ج3، ص35)، حتى وإن صارت الكتابة هواية بعض الناس في
العصور المتأخرة ولا يمكن حصرها في المجالات التي قيدها العلماء
الأوائل فقط لاختلاف الظروف والوسائل فينبغي أن تبقى جهود الغير
مصونة، فالأمانة العلمية مبدأ علمي ثابت في كل عصر وإن تغيرت
أشكال الكتابة ووسائلها وغاياتها

ثالثا : الجانب التطبيقي و العملي بهذه القاعدة في كتبهم: نحاول في هذا
المطلب أن نطوف في مقدمات بعض الكتب لنرى مدى احترام وعمل
علمائنا بهذه القاعدة التي ذكرناها وهي من بركة العلم إضافة القول إلى
قائله .

١ / كتب التفسير:

— تفسير ابن كثير: ونبدأ بتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى الذي نقل الفوائد
عن غيره وأثبتها لأصحابها ويكفيها فقط أن نرجع إلى مقدمة كتابه حتى
نميز ذلك بوضوح حيث استشهد في المقدمة بكلام أكثر من عالم
كالشافعي وأبي عمرو الداني والقرطبي (ابن كثير، 1410هـ، ج1، المقدمة)

__ تفسير المراغي: الذي صرح بكل شفافية من استفادته من كتب التفسير المتقدمة وإن كان قد صاغها بلغة تتناسب مع روح العصر ومقتضياته ويفهمها عامة الناس فقال: (...) واستبدلت بأساليب المؤلفين أسلوباً سهلاً المأخذ قليل الكلفة في الفهم، حتى يستطيع القارئ أن يلم بأسرار كتاب الله دون كد ولا نصب) (المراغي، 1365هـ، ج1، ص17) وأردف المصادر التي اعتمد عليها في صفحتين كاملتين ذكراً ثلاثين مصدراً (المراغي، 1365هـ، ج1، ص20، 21)

__ تفسير التحرير والتنوير: الذي صرح بأن التفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق، بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، ثم ذكر أهمها وأشهرها، وبين النهج الذي سيسلكه في تفسيره بكل صدق وأمانة فقال: (...) ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها، وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه، وما أجلبه من المسائل العلمية مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متقدم... ﴿(ابن عاشور، 1984م، ج1، ص7، 8)

فهذه نماذج لأبرز كتب التفسير المعروفة والمتداولة رأينا كيف حرص أصحابها على نسبة الأقوال إلى أصحابها أو مصادرها، وإن تركوا ذلك

اختصاراً لم ينسبوا ذلك لأنفسهم، وإذا فتح الله عليهم بشيء ذكروا بأنهم لم يروا من سبقهم إلى ذلك وهذا غاية التحقيق والإتقان
ب/ كتب السيرة والحديث: وسأقتصر على كتابين من ذلك :

— سيرة ابن هشام: وكان دقيق التحقيق والتوثيق إذا نقل عن ابن إسحاق يقول: (قال ابن إسحاق) وإذا تكلم هو وأفاد من فوائده قال: (قال ابن هشام) (ابن هشام، 1410هـ، ج1، ص20)

— نيل الأوطار: قال الإمام الشوكاني في مقدمته :
(وجعلت ما كان للمصنف من الكلام على فقه الأحاديث وما يستطرده من الأدلة في غضونه من جملة الشرح في الغالب ونسبت ذلك إليه وتعقبت ما ينبغي تعقبه عليه وتكلمت على ما لا يحسن السكوت عليه مما لا يستغني عنه الطالب ...) (الشوكاني، 1425هـ، ج1، ص12، 13)
فتميز المؤلف بين كلامه وكلام غيره صورة من صور مراعاة الأمانة العلمية التي تهدف أساساً إلى الاعتراف بجهد أهل الفضل

ج / كتاب أنوار البروق في أنواء الفروق المعروف بالفروق للقراقي رحمه الله تعالى، حيث أورد فائدة لغوية بعد ذكره تسمية كتابه وعدد القواعد التي أوردتها فيه وهي 548 قاعدة، ولكنه لصدقه وأمانته لم يستطع أن يدعيها لنفسه فقال رحمه الله تعالى في منحنى سلوكي راق: (سمعت بعض مشايخي الفضلاء يقول فرقت العرب بين فرق بالتخفيف وفرق بالتشديد، الأول في المعاني، والثاني في الأجسام، ووجه المناسبة أن كثرة الحروف عند العرب تقتضي كثرة المعنى أو زيادته أو قوته، والمعاني لطيفة

والأجسام كثيفة فناسبها التشديد وناسب المعاني التخفيف... ﴿
(القرافي، 1424هـ، ج1، ص7)
الخاتمة :

وفي الأخير نوجز أهم النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية :
- مقولة: (من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله) من أهم العبارات التي استعملها علماء الإسلام في التقعيد للأمانة العلمية منذ قرون بعيدة، ويعتبر أول من نقلها ابن عبد البر رحمه الله تعالى في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) وبعده المفسر القرطبي وهو ما يرجح أنها اشتهرت في بيئة أندلسية محضة، وإن استعملها بعض المشاركة ولكن بزيادات أخرى كالنووي رحمه الله تعالى .

- الاهتمام الشديد لعلماء الإسلام بموضوع الأمانة العلمية وحرصهم على نسبة الفوائد لأصحابها وتيقنهم بأن الالتزام بذلك هو سبيل العلم النافع والبركة الدائمة .

- من مقاصد الشريعة الإسلامية إشاعة الصدق والحق والبعد عن الكذب والتدليس والتزوير والانتحال مهما تطورت أشكاله وأساليبه
و الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن عبد البر القرطبي (د.ت) ، تح أبو الأشبال الزهيري ، جامع بيان العلم وفضله ط1، مصر ، مكتبة ابن تيمية
- 2- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (1427هـ) ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة

- 3- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (1423هـ)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ط1، مصر، دار الآثار
- 4- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (1387هـ)، تح عبد الفتاح أبو غدة، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، ط1، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية
- 5- عبد الواحد بن عاشر (د.ت)، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، الجزائر، دار الفجر
- 6- محمد بن أحمد بن محمد الشهير بميارة (1373هـ)، الدر الثمين و المورد المعين، مصر، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده
- 7- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (1434هـ)، بستان العارفين وسبيل الزاهدين، ط1، السعودية
- 8- محمد سعيد رمضان البوطي (1430هـ)، شخصيات استوقفني، ط8، لبنان، دار الفكر
- 9- صحيح البخاري (1422هـ)، تح محمد زهير الناصر، (ط1) بيروت، دار طوق النجاة،
- 10- صحيح مسلم (د.ت)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي
- 11- ابن منظور (د.ت)، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف
- 12- ابن حجر العسقلاني (1420هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط3، الرياض، مكتبة دار السلام
- 13- عبد الرحمن بن خلدون (1421هـ)، المقدمة، لبنان، دار الفكر
- 14- شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ (د.ت)، أزهار الرياض في أخبار عياض المغرب، مطبعة فضالة

مجلد: 13، عدد خاص، سبتمبر 2022
العنوان: التعقيد للأمانة العلمية في قول الأوائل (من بركة العلم أن يضاف الشيء إلى قائله).
ص ص 304 . 323.

- 15-إسماعيل بن كثير (1410هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط1، الجزائر، دار الثقافة
- 16-أحمد مصطفى المراغي (1365هـ)، تفسير المراغي، ط1، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده
- 17-محمد الطاهر بن عاشور (1405هـ)، تفسير التحرير و التنوير، تونس، الدار التونسية للنشر
- 18-محمد بن هشام (1401هـ)، السيرة النبوية، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي
- 19-محمد بن علي الشوكاني (1425هـ)، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية
- 20-شهاب الدين القرافي (1424هـ)، تح د عبد الحميد هندراوي، الفروق، بيروت، المكتبة العصرية

الناصرية